اقبلني اليوم

من وحي إحدى العظات التي ألقاها صاحب السيادة المتروبوليت قسطنطين

"خذوا كلوا، هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: "اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى 26:26-28)

"بخوف الله وإيمان ومحبته تقدموا"، هذا كلام ابتدأ مع الرسل، ودائمة حقيقته بالنسبة للذين انتموا للمسيح بالمعمودية فأصبحوا أصحاب البيت يتشاركون الطعام الإلهي من خلال "سر الشكر"، وكما يقول نيقولا كاباسيلاس " الأسرار هي بمثابة أبواب السماء التي بها يدخل المسيحي المؤمن إلى ملكوته.

إذاً هذه الحقيقة الدائمة هي دعوة مستمرة للعشاء السرّي المقام في القداس الإلهي، الذي فيه نقتات الخبز والخمر فنحيا إلى الأبد، فالمناولة هي أحد امتدادات المسيح في التاريخ الإنساني بحال غير منظورة أو "سرية" بقوة الروح القدس، وحدث المناولة هو ما يخفى عن غير المؤمن ويُدرَك في شركة الإيمان. هو ما أعلن لنا بالمسيح يسوع (رومية 16 : 25 وأفسس 3 : 2 – 4)

وقد قال لنا يسوع في إنجيل يوحنا أيضا:

"هذاهو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان فلا يموت. أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي سأعطيه أنا هو جسدي الذي سأبذله من أجل حياة العالم". (يوحنا 6:50-51).

فقال لهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم، إن لم تأكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في داخلكم.

من يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير.

لأن جسدي حقاً هو مأكل ودمي حقاً هو مشرب.

من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو أيضاً يحيا بي". (يوحنا 6:53-57).

يفسر القديس يوحنا الذهبي الفم معنى "سر الشكر" في عظته الثانية والثمانين حول إنجيل يوحنا :

- "بما أن الكلمة أكد لنا قائلاً، هذا هو جسدي، لنقبل ذلك وننظر إليه بعين الإيمان، لأن المسيح... أعطانا الحقائق الروحية بشكل حسي.
- كم من مؤمن يقول اليوم، "يا ليتني أرى الرب في الجسد، أرى وجهه وثيابه "، لكنك تراه هو بنفسه وتلمسه، بل لتتقبله في داخلك مخلصاً وسيداً.

هنا وجب لفت الأنظار إلى أمور عدة منها:

إن بعض الإخوة المتقدمين للمناولة يفتحون أفواههم بعيون شاخصة إلى الأب الكاهن منتظرين إياه أن يقوم برمي جسد ودم الرب رمياً بارداً داخل تلك الأفواه، وفي هذا تصرف غير لائق تجاه الرب أو تجاه الجسد والدم اللذين ضحى بهما من أجل خلاصنا.

العلاقة مع الرب هي علاقة عشق ذات قطبين؛ قطب الرب الإله وقطب المؤمن. هي إذاً هذا اللقاء بين القطبين الحبيبين، فيضم الحبيب معشوقه بواسطة الشفتين مرسلاً إياه داخلاً كي يحيي القلب والروح.

والله عالم ما في القلوب.

أيقونة العشاء السري

اقبلني اليوم شريكاً لعشائك السرّي يا ابن الله، لأني لست أقول سرّك لأعدائك، ولا أعطيك قبلة غاشة مثل يهوذا، لكن كاللّص أعترف لك هاتفاً: اذكرني يا ربّ اذا أتيتَ في ملكوتك.

لا يجوز إذاً رمي الجسد والدم هكذا في الفم، واجب علينا أن نغلق عليه شفاهنا ونضمه إلى ذاتنا لنلتحم فيه بالرب فادينا.

يقول أحد الشعراء الأرثوذكس في قصيدته "القران الروحي":

أضم الحبيب إليّ فتهيم به روحي... هللويا ...

الأمر الثاني هو أن المزاجية في القداس الإلهي مرفوضة، علينا أن نعرف أن لقاءنا مع المسيح إن كان ضعيفاً فهو يقوى في القداس، واللقاء الأعظم هو هذا الذي يريده السيد عندما دعانا إليه بقوله: "خذوا كلوا هذا هو جسدي.

ويقول بولس الرسول أيضاً: "فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد" (1كور 10:17).

هذه مناسبة لنغفر لمن أساء إلينا فننمو في الطهارة ونقوى أمام المحن والصعاب، نردد دائماً في الصلاة الربانية: "... خبزنا الجوهري أعطنا اليوم واترك لنا ماعلينا كما نترك نحن لمن لنا عليه ولا تدخلنا في تجربة...".

في الظاهر، أنا أتناول من يديّ الكاهن، لكن في الحقيقة أنا أتناول من يدي المسيح جسده ودمه، وما هذا كله إلاّ دعوة لا يمكن للمؤمن الحقيقي رفضها.

"ومتى قمتم تُصلّون، فإن كان لكم على أحد شيء فاغفروا له لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم".(مرقس 11:25).

يُروى مرّة أنّ أحد المؤمنين زار أباه الروحي بهدف الاعتراف، فجلسا سوياً أمام الأيقونة وابتدأ بالكلام:

الابن الروحي: أبتاه لدي مأخذ على أحد الأشخاص ولا أستطيع أن أغفر له

الأب الروحي: وما أنت فاعل بهذا الأمر؟

الابن الروحي: لن أفعل شيئاً، فمهما حدث، لست بغافرٍ له ما فعله بي.

الأب الروحي: ... إذاً هيا بنا نركع سوياً ونصلي. فما كان من الأب الروحي إلا أن ابتدأ بالصلاة الربانية قائلاً: "أبانا الذي ...ولا تترك لنا ما علينا كما نحن لا نترك لمن لنا عليه...".

قاطعه الابن الروحي بسرعة: أبتاه أنت تخطىء في تلاوة الصلاة ... ليست هكذا !!!

الأب الروحي: " أنت قلت... وأنا أتلو الصلاة كما أخبرتني...

عندها فهم الابن الروحي مايرمي إليه أبوه الروحي؛ وهو المعنى الحقيقي للصلاة والتي لا يمكن إلا أن تفعل في حياتنا،، عندئذ توجه محاولاً أن يصلح ما كان قد تهدّم واعداً أباه الروحي أن يعود إليه بنفس نقية.

إذاً المطلوب منا أن نرمي أنفسنا في حضن يسوع مستحقين، مصلين، متخشعين، متواضعين، "فالقلب المتواضع لا يرذله الله"، عندها نصبح محبين لكلمة الله ومشتاقين أن نتناول جسد الحبيب ودمه فنحيا بمحبته لنا مما يرفع مستوى محبتنا له.

ونحن نحبه لأنه أحبنا أولاً.

عيد تجلي ربّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح

من كتاب سير القدّيسين وسائر الأعياد في الكنيسة الأرثوذكسية (السنكسار) - شهر آب - الارشمندريت الراهب توما (بيطار)

في إنجيل متّى 28:16 ورد القول "إنّ من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته". وفي إنجيل مرقس 1:9 القول المقابل هو "إنّ من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوّة"". مباشرة بعد هذا القول صار الكلام عن صعود الربّ يسوع بتلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنّا، إلى جبل عال منفردين ليصلّي (بو28:9). كان ذلك، فيما يبدو، بعد ستة أيام من تفوّه الربّ يسوع بالكلام في شأن مجيء ابن الإنسان في ملكوته. أي جبل عال يكون هذا؟ نصوصنا الليتورجية تسمّيه "ثابور" في الجليل. هذا بدءاً من القرن الثالث للميلاد. بعض الدارسين يميل إلى اعتبار حرمون الجبل المقصود. حرمون ربّما كان اوفق لا سيما والسياق الإنجيلي يدعمه. ففي إنجيل متّى، الإصحاح 16، جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيليبس وهذه قريبة من حرمون. ولعلّ صفة "الجبل العالي" تنطبق على حرمون اكثر مما تنطبق على ثابور. جدير بالإشارة أنّ المنبع الرئيسي لنهر الأردن هو جبل حرمون.

لِمَ كان التجلّي؟ في قيصرية فيليبس أخذ الربّ يسوع يُظهر لتلاميذه أنّه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألّم كثيراً من الشيوخ و رؤساء الكهنة و الكتبة ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم (مت21:16). هذا كان مباشرة قبل الصعود إلى الجبل. ثمّ بعده مباشرة، فيما كان يسوع وتلاميذه الثلاثة نازلين من الجبل، كلّمهم عن قيامة ابن الإنسان من الأموات. التجلّي كان لإظهار ابن الإنسان في مجده حتى متى رآه التلاميذ مُسلماً إلى اليهود، مُعلّقاً على الصليب، في آلامه، لا يَعثّرون. اعتراف بطرس في قيصرية فيليبس عن يسوع أنّه "المسيح ابن الله الحي" (مت16:16) لم يكن كافياً، رغم أنّ الآب السماوي هو الذي أعلن له ذلك (مت17:16). فبطرس لما تكلّم الرب يسوع على موته العتيد وقيامته عثر وانتهر يسوع: "حاشاك يا ربّ!". بطرس، إذاً، مقدَّم الرسل، كان بحاجة إلى تثبيت. كذلك كان يعقوب الذي صار أوّل رسول يموت من أجل المعلّم (أع 2:12). اما يوحنا الحبيب فهو إنجيلي المجد الإلهي لامتياز.

صعد بهم يسوع إلى الجبل علامة للإرتقاء الروحي من فضيلة إلى فضيلة حتى إلى المحبّة التي بها تكونمعاينة اللاهوت، والإقامة في النور غير المخلوق. ذلك الصعود كان خلاصة حياة السيّد الذي اتّشح بضعف البشرة وشقّ لنا الطريق إلى الآب السماوي مُعلّماً إيّانا أنّ السكون هو أمّ الصلاة وأنّ الصلاة هيي كاشفة مجد الله لنا.

"وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيّرة" (لو29:9). "وتغيّرت هيئته قدّامهم وأضاء وجهه كالشمس" (مت 2:17). "وصارت ثيابه تلمع بيضاء جدّاً كالثلج لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيّض مثل ذلك" (مر3:9). هكذا أبان كلمةُ الله المتجسّد البهاء الطبيعي للمجد الإلهي الكائن له ذاته، وحفَظَه إثر التجسّد، مخبوءاً تحت برقع الجسد. والحق أنّه من اللحظة التي تمّ الحَبَل بها بالكلمة في حشا العذراء، اتّحد، إلهاً، بطبيعتنا البشرية، وأضحى المجد الإلهي، في شخصه، مجد الجسد المتّخذ أيضاً. لذا ما أظهره يسوع لتلاميذه في الجبل إن هو سوى إعلان صارخ لتألّه الطبييعة البشرية فيه، وكذا اتحاد الجسد بالبهاء الإلهي.

وجه موسى، لما تألّق، في الزمن القديم، أتاه المجد من الخارج بعد الكشف في جبل سيناء (راجع خر29:34). أما وجه مسيح الربّ فاستبان، في الجبل، مصدراً للنور، لحياة الإلهية المباحة للناس. وشمل النور ثيابه أيضاً إشارة للعالم الخارجي ونتاج حيويّته والحضارة البشرية.

لم يكن تجلّي الرب يسوع، وفق ما أكده القديس يوحنّا الدمشقي، باتخاذ ما لم يكن بل بإظهاره ما كان، فاتحاً عيون التلاميذ وجاعلاً إيّاهم، بعد عمى، مبصرين. فتح يسوع أعين تلاميذه ليتسنّى لهم، في نظرة متجلّية،

بقوة الروح القدس، ان يعاينوا النور الإلهي متحداً، بما لا يقبل الفكاك، بجسده. هذا يتضمّن أنّهم كانوا، هم أنفسهم، في الحقيقة، متجلّين. وبالصلاة، كما يقول القديس غريغوريوس بالاماس، قُيِّد لهم أن يعاينوا ويعرفوا أيّ تغيير صار لطبيعتنا بفعل اتحادها بالكلمة.

وكما الشمس للحسّيات كذلك الله للروحيّات (القديس غريغوريوس اللاهوتي). لذا أفاد الإنجيليون أنّ وجه الإله – الإنسان، وهو "النور الذي يضيء كل إنسان آت إلى العالم" (يو1:9)، كان مضيئاً لامعاً كالشمس. لكنْ كان هذا النور أسمى، بغير قياس من كل نور محسوس. وإذ لم يحتمل التلاميذ تألَقَه، الذي لا يُدنى منه، سقطوا أرضاً.

هذا النور غير المادي، غير المخلوق، الآتي من خارج الزمن، كان هو إيّاه ملكوت الله الوافد بقوّة الروح القدس، وفق ما كان السيّد قد وعد به تلاميذه. هذا الذي عاينه التلاميذ لحظة، سوف يصير الميراث الدائم للمختارين في الملكوت، متى جاء المسيح جديداً، متلألئاً في كل مجده. بلى بهذا المجد السني سنلقاه عائداً، في النور الذي التمع في ثابور، وتدفّق من القبر يوم الفصح. هذا إيّاه سيكتنف نفوس المختارين وأجسادهم، ليجعلهم، هم أيضاً، متلألئين كالشمس. "حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت 43:13).

"نور هو الله ونور معاينته" (القديس سمعان الاهوتي الجديد). كما كان التلاميذ شهوداً للنور في الجبل كذلك عاين العديد من القديسين الله في النور. غير أنّ النور لم يكن موضع تأمّل لهم وحسب، بل هو، أيضاً، النعمة المؤلّهة التي تتيح لهم أن يعاينوا الله في خط قول مرنّم المزامير أنّه "بنورك نعاين النور" (مز35:10).

في حضن هذه المعاينة المجيدة تراءى عن جانبي السيّد كُلٌّ من موسى وإيليا، قمّتي العهد القديم، ممثِّلَين للناموس والأنبياء يشهدان له أنه معلّم الأحياء والأموات. وقد تحدّثا إليه، في النور، "عن خروجه الذي كان عتيداً أك يكمّله في أورشليم" (لو9:31)، أي عن آلامه، فإنه بالألم والصليب كان هذا المجد مزمَعاً أن يُعطى للناس.

وإذ استبان الرسل وكأنّهم وخرجوا عن طورهم، بعدما فتنهم التامّل في النور الإلهي، كانوا كأنهم مثقلون بالنعاس. إذ ذاك قال بطرس "وهو لا يعلم ما يقول. يا معلّم، جيد ان نكون ههنا. فلنصنع ثلاث مظال. لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة" (لو9:33). فما كان من المعلّم سوى أن حوّل تلميذه عن هذه الرغبة البشرية في الاكتفاء من النور بمباهجه الأرضية وأبان للثلاثة مظلّة أسمى لتحتضن مجده. فإن سحابة مضيئة جاءت فظلّلتهم وانذاع صوت الآب في كنف السحابة شاهداً للمخلّص: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرتُ. له اسمعوا". تلك السحابة كانت علامة لنعمة روح التبني. وكما من معمودية السيّد في الأردن، شهد صوت الآب للابن مُبيّناً أنّ الأقانيم الثلاثة للثالوث القدوس، الواحد أبداً، تتعاضد لخلاص الإنسان.

نور الله الذي أتاح للتلاميذ، بدءاً، أي يعاينوا المسيح بلّغهم حالاً سامية على المعاينة والمعرفة البشرية لما تلألأ بأكثر قوة. وإذ خرجوا من كل ما يُرى بالعين المجرّدة، ومن ذواتهم أيضاً، دخلوا في الظلمة الفائقة على النور التي جعلها الله خباءً له (مز17:11). ولما انغلق باب حواسهم اقتبلوا كشف سر الثالوث الذي يعلو كل إثبات.

وإذ كان التلاميذ، بعد، غير مهيّئين لإعلان مثل هذه الأسرار، حيث لم يعبروا، بعد، بامتحان الصليب، انتابتهم مخافة شديدة. لكنّهم لمّا رفعوا رؤوسهم عاينوا يسوع وحده، وقد استردّ هيأته العادية، ودنا منهم وطمانهم. ثمّ لمّا نزلوا من الجبل أوصاهم أم يلزموا الصمت في شان ما عاينوا إلى أن يقوم ابن الإنسان من بين الأموات.

العيد، اليوم، هو، بامتياز، إذاً، عيد تأليه طبيعتنا البشرية، وشركة جسدنا القابل للفساد من الخيرات الأبدية التي تسمو على الطبيعة. حتى قبل أن يتمّم الرب خلاصنا بآلامه أبان أنّ الغرض من مجيئه إلى العالم هو، بالضبط، أن يقود الإنسان إلى معاينة مجده الإلهي. وهذا هو السبب في أنّ عيد التجلي كان له موقعه الفذّ بين الرهبان الذين جعلوا حياتهم سعياً وراء هذا

لما تجليتَ أيّها المسيحُ الإلهُ على الجبل، أظهرتَ مجدَكَ للتلاميذِ بحسبما استطاعوا، فأشرق لنا نحن الخطأةُ نورَكَ الأزلي، بشفاعاتِ والدة الإله، يا مانحَ الحياة المجدُ لك.

أقوال الآباء في التجلي:

القدّيس يوحنا الذهبي الفم: إذ تحدّث الرب كثيرًا عن المخاطر التي تنتظره وآلامه وموته، وعن موت التلاميذ والتجارب القاسية التي تلحق بهم في الحياة، كما حدثهم عن أمور صالحة كثيرة يترجّونها، لمن أجلها يخسرون حياتهم لكي يجدوها، وإنه سيأتي في مجد أبيه ويهبنا الجزاء، لهذا أراد أن يُظهر لهم ما سيكون عليه مجده عند ظهوره، فيروا بأعينهم ويفهموا قدر ما يستطيعون، لهذا أظهر لهم ذلك في الحياة الحاضرة (بالتجلّي).

القديس أفرام السرياني: القوم الذين قال عنهم أنهم لا يذوقون الموت حتى يعاينوا صورة مجيئه ورمزه، هم هؤلاء التلاميذ الثلاثة الذين أخذهم معه إلى الجبل، وأعلن لهم طريقة مجيئه في اليوم الأخير في مجد لاهوته وجسد تواضعه... صعد بهم إلى جبل عال لكي يُظهر لهم أمجاد لاهوته... فلا يتعثّروا فيه عندما يرونه صعد بهم إلى جبل في الآلام التي قبلها بإرادته، والتي احتملها بالجسد من أجلنا... لكي يُظهر لهم ملكوته قبلما يشهدوا آلامه وموته، فيرون مجده قبل عاره، حتى متى كان مسجونًا ومُدانًا من اليهود يفهمون أنه لم يصلب بواسطتهم عن عجز، بل لأنه سُرّ أصعدهم إلى جبل لكي يُظهِر لهم قبل قيامته بصلاحه أن يتألّم لأجل خلاص العالم. مجد لاهوته حتى متى قام من الأموات يدركون أنه لم يتقبّل هذا المجد كجزاء لعمله كمن لم يكن له هذا المجد، وإنما له هذا المجد منذ الأزل مع الآب والروح القدس. وكما سبق فقال عندما ذهب إلى الآلام بإرادته: "الآن مجّدني أيها الآب بالمجد الذي لي قبل أضاء وجهه ليس كما أضاء وجه موسى من الخارج، وإنما أشعّ إنشاء العالم" (يو ١٧: ٩). مجد لاهوته من وجهه (أي من ذاته)، ومع هذا ظلّت أمجاده فيه. من ذاته يشع نوره ويبقى نوره فيه. إنه لا يأتيه من الخارج ليزيّنه!... ولا يقبله لاستخدامه إلى حين! إنه لم يكشف لهم أعماق لاهوته التي لا تُدرك، وإنما كشف لهم قدر ما تقدر أعين التلاميذ أن تتقبّل وتميّز!

العلاّمة أوريجنّس: إنّ السيد أعلن لاهوته للذين صعدوا على الجبل العالي، أمّا الذين هم أسفل فظهر لهم في شكل العبد. إنّه يسأل من يشتاق أن يتعرّف على حقيقة السيد ويتجلّى قدّامه أن يرتفع مع يسوع خلال الأناجيل المقدّسة على جبل الحكمة خلال العمل والقول.

شرح أيقونة رقاد والدة الإله

نعيد لعيد رقاد سيدتنا والدة الإله في اليوم الخامس عشرة من شهر آب أغسطس.

في تقليدنا الأرثوذكسي نذكر حادثة الرقاد بشكلها الآتي:

عندما اقترب موعد انتقال العذراء من هذه الحياة، أخبرها الرب بقرب يوم انتقالها. فطلبت من ابنها رؤية التلاميذ قبل انتقالها، لأنهم كانوا قد انتشروا للعمل البشاري. فلبّى لها الرب هذا الطلب وأحضر التلاميذ جميعهم، على غمام، إلى مدينة الجسمانية، مكان رقاد العذراء، من أقاصي المسكونة باستثناء توما وذلك لقصد إلهي.

اجتمع الرسل في قرية الجسمانية وحزنوا جداً على رقاد العذراء وانتقلوا بموكب مهيب ليدفنوها. وحضر الرب يومها ورافق روح العذراء مع موكب ملائكي مهيب إلى السماء تكريماً منه لوالدته.

أما بما يختص بالرسول توما، فكان يبشّر بالهند وكان قد انتهى من تبشير ملكها وتعميده مع شعبه. وهو عائد إلى مدينة الجسمانية في اليوم الثالث لانتقال العذراء شاهد العذراء صاعدة إلى السماء فسارع يناديها قائلاً: "إلى أين أنت مغادريتنا"

فأجابت العذراء انها صاعدة إلى ابنها ولكنها نزعت زنارها وسلّمته إلى توما ليبقى تعزية مع التلاميذ ومع المؤمنين من بعدهم. وهكذ نقل توما هذا الأمر للتلاميذ الذين كانوا حزينين على رقاد العذراء فلم يصدقوه إلى ان ذهبوا إلى قبر العذراء ليجدوه فارغاً. لهذا في تقليدنا نعتقد بأن العذراء انتقلت بالجسد إلى السماء وذلك كرامةً من المسيح لجسد أمه التي منحت الإله جسداً من جسدها ودماً من دمها.

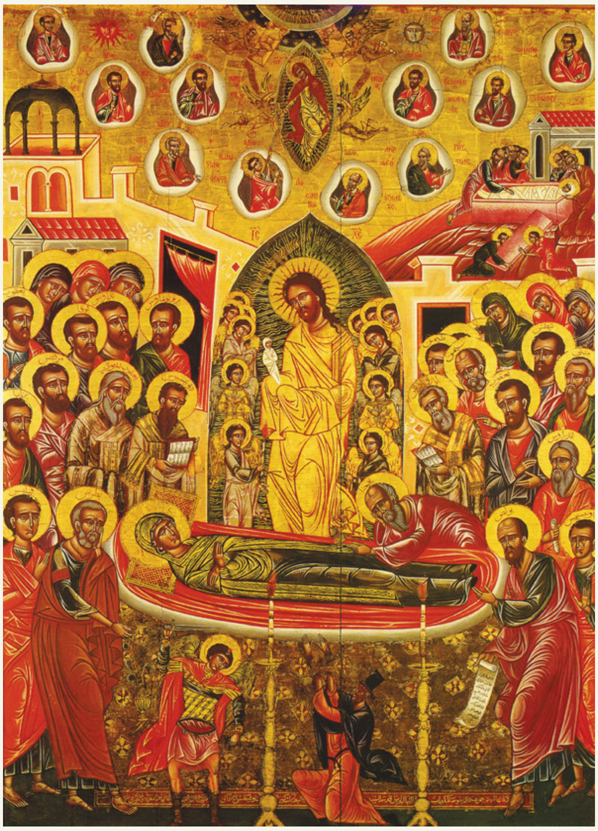

أيقونة رقاد والدة الإله، وهي من الأيقونات الحلبية المتواجدة في دير سيدة البلمند في لبنان.

وبنظرة سريعة إلى الأيقونة نلاحظ التالي:

العذراء مسجّاة على سرير في وسط الأيقونة محاطة بطغمة التلاميذ والمسيح حالٌ في الوسط محاطاً بالملائكة ويحمل طفلة مكفّنة بالبياض تمثل روح العذراء الطاهرة. وفي القسم الأعلى من الأيقونة نجد الملائكة ترفع جسد العذراء إلى السماء (التي هي عبارة عن القوس الأزرق في أعلى الأيقونة)، كرامة لها من ابنها. وفي أسفل الأيقونة نجد ملاكاً يقطع يدي رجل هو عبارة عن حاخام يهودي أراد ان يدنّس جسد العذراء، فحضر ملاك قطع يديه قبل ان يمسّ جسد العذراء.

الشباب والإيمان

الأم مريم (زكا)

يعبرون الجسر في الصبح خفافًا
أضلعي امتدّت لهم جسرًا وطيد.
خليل حاوي .

هؤلاء الذين أعطانا إيّاهم الرب في جميع أقطار الأرض... ليس بينهم عبدٌ ولا حرّ، ذكر أو أنثى، يهودي أو يوناني...بل صورة الحمل وهيأته، الذي يتجزّأ ولا ينقسم المذبوح لخلاص البشريّة.

في قلب كل مخلوق فسحة للمسيح وانشداد صوبه يعيها منذ الطفوليّة. فإذا تعوّد المكاشفة بينه وبين ربّه خلص وإلاّ فغيابٌ وحرقة وضياع وإهمالٌ لما هو مدعو إليه من البطن .

الشباب والإيمان هو عنوان اليوم... أنت مؤمنٌ يا حبيبي وتعرف المسيح... ولكن كيف تترجم حبّك هذا وإيمانك حياة يوميّة؟...!

تخرج من خدرك مثل الشهب إلى دورة يومك... وتصرخ يا ربّي يسوع ارحمني... ربّما ترسم إشارة الصليب، تقبّل الصليب المعلّق حول عنقك. علامة حضورٍ لمسيحك وتفرح به وتتفاخر على أقرانك إن هم ضلّوا أو إن أردت أن تعلن لهم إيمانك ...وفي إيمانك هذا جرحٌ يا حبيبي لأنّ مسيحك لايفتخر ولايفاخر بل مشى بين شعبه خروفًا مُساقًا إلى الذبح... ولم يفتح فاه... حمل صليبه عنك لأجلك.

المسيحي يفتح فاه بالتّسبيح فقط... ولا يتكلّم إلا عن مسيحه وأعمال مسيحه في كونه، فيه... "فكل حديث بغير الله لغو"... فكيف كيف أنت وكلّ العالم إلى هذا؟...

أنت تحيا في ظروفٍ صعبة، بل في ظروف مستحيلة. رؤساء بلدانك في غالبيّتهم لا يعرفون الله والأكثر فيهم مضروب بجنون العظمة وعشق السلطة والمال وكل الأهواء. نحن لا ندين أحداً ولكنّهم يدينون أنفسهم بأفعالهم .

حروب وأخبار حروب، قتل، سرقة، مشادات، استغلال، إثبات ذات، شهرة، نجاح، وقمع وقهر للضعفاء والفقراء والمساكين. عالمك يا حبيبي مضروب بالتّحصيل، بالمال، يسابقك على الركض للوقوع في بطن الحوت. في جحيم الموت.

الرب يسوع المسيح

الكلّ يبتلعك ليطحنك خبزاً له وأنت ماذا تفعل لتقي ذاتك فلا تكون محرقة لهم، للأنظمة السياسية والماليّة والإداريّة والاقتصاديّة والفكريّة التي يهيّئون لها؟... ماذا تفعل حتّى لا تسقط في جحيمهم وتُشوى على نارهم، تؤكل منهم وتصبح رماداً تُذرى في عالمهم؟ ...!

وتقول لكننا نحن من هذا العالم... أبناء هذا الدهر... فعلينا أن نحيا في مسيحيّتنا بينهم، في أطرهم، مبشّرين بالآتي وبالخلاص... نكون بينهم ولكن ليس فيما هم عليه ...

قال الرب" : أنتم لستم من هذا العالم..."

وقال أيضاً "يا بني أعطني قلبك"... كل شيءٍ يبدأ بالقلب وبالوثوق أننا لسنا من هذا العالم. نحيا فيه عابري سبيل. سوّاحاً على دروبٍ اختطها لنا ربّنا ومسيحنا وإله حياتنا خالق هذا الكون وهذا العالم.

أحبّتي....

أنتم جسر حياتنا إلى المستقبل... هكذا أسماكم شاعر من لبنان... كان يدمع كلّما كان صباح ورأى الطّلاب يدخلون باب صرح الجامعة في بيروت... لم أعرف لماذا كان يبكي وقتئذٍ كلما رآكم... واليوم صرت أنا أستودعكم العلي والسماء والقدّيسين والملائكة كي يحفظوكم من غوائل العدو... الآن صرت أعرف أنّ المسيح افتدى البشريّة وأنتم كذلك بتعليقه على الصليب، وأنّه بكى لقيامتكم ونحن أيضًا.

اليوم بتّ أعرف أن الخالق لم يمدّ أضلعه فقط لتمشوا عليها، بل ألوهته كلّها وبشريّته ليطلع منّا بشرًا جددًا، أخفّاء كشهب النّور والنار؛ زوبعة حياة جديدة تمشي وراءه حاملة معها كلما تلتقيه، إلى الخلاص.

يا أحبّة، أكتب لكم اليوم كلمة حبٍ لأقول لكم أنتم قدّيسو الله العلي. إن أحببتموه في هذا الزمان الرّديء من كل قلبكم وعقلكم وكيانكم... ولكن كيف؟... والمكننة صارت إله العصر والآتي؟... بالبساطة... عودوا إلى جذوركم. إلى بساطة أجدادكم، إلى ما عرفوه بالقلب لابالفعل فقط... أنا لا أدعوكم إلى تبسيط معرفة القرن الواحد والعشرين...لا، فأنا مؤمنة بالعلم، لكنّي أدعوكم أن تبسّطوا مطالب علمكم كما بسّطتم ثيابكم وتخليتكم عن العقد والفاخر في الزيّ وارتضيتم" الجينز والاسبادري ..."

أحبّتي، يسوع لايطلب منكم الكثير... فقط أن تحبّوه.. والحب سهل عليكم لأنكم ما زلتم في نضارة ونظافة الصبح والنور والسعي إلى ما يشدّكم إليه... إلى عمق قلبكم. أنتم في بحثٍ وفي رحلة، بحثٌ يبدأ في الحرف وينتهي عند الآخر. فماذا تأخذون معكم لتعطوا الحرف والآخر؟...!

أريدكم أن تكونوا فاعلين في التعلّم وفي العطاء وفي الحبّ... يا أحبّة نحن نتلقّى ما يأتينا من فوق، من عنده، من لدن أبي الأنوار... بهذا نقرأ وبهذا نحبّ... نملأ عقلنا من كلمته وقلبنا من نور حبّه، نتفاعل به مع الآخرين، فنفعل بهم بما غرفنا من خزائنه، من إنجيله، من وصاياه .هكذا نبدأ التعلّم والتّعليم... هكذا نأخذ الكلمة المضروبة بالأمراض والأهواء.

يا أحبتي... أتعرفون كم هو دوركم كبير وعظيم في العالم؟!... "أنتم لستم من هذا العالم"... ولكنّكم في هذا العالم... فكيف تحيون خارج العالم وفيه؟..! بالإله الكلمة، بوصيةّ الإنجيل... أنا أقرأ إذاً أنا أعرف... والمعرفة حياة. لذلك تمارسون الطب إذا تعلّمتموه والهندسة والموسيقى والعمارة والرسم والفن... هكذا إذا تعلّمتم كلمة الإنجيل، تصير فيكم حياة فتحيونها إمّا بالبشارة الدّائمة أوبغرسها نصبًا على حفافي حياتكم... تسيّج معارفكم التي اقتفيتموها وترطّب صحراء علمكم ووجع ما تعيشونه في هذا العالم... والسياج هذا هو الصلاة... "صلّوا بلا انقطاع" ..."صلّوا ولا تملّوا"... كيف هذا؟!... ونحن لا وقت لنا لنغسل وجهنا في الصباح. فنحن ندرس ونعمل من الصبح وحتّى آخر الليل؟...!

الصلاة حالة يا أحبّة... إنّها وقفة ذهنٍ وخفقة قلب. نمتدّ فيها إلى أعماقنا فنلقى الإله منتظرنا هناك ليحملنا عبر النهار فلا تعثر بحجرٍ أرجلنا. فقط قولوا :"ربّي يسوع ارحمني أنا الخاطىء ..."

وتعترضون؛ أنا لست خاطئاً... وأرفض الخطيئة ولا أريد أحمالاً تثقل مشيئتي وحركتي... أنا أحبّ الربّ وهو الإله القدير، فعليه حملي...

يا حبيبي أنت حامل في جسدك بذرة السقوط والموت والابتعاد عن الإله...

اسمعني ولا تنفعل... أنت ذرّيّة آدم الأوّل الذي منحه الله الفردوس والسكنى فيه، لكنّه هو بمشيئته رفض حياة الإله وفردوسه، فنزل إلى عالم الموت والخطيئة... وبموته نُمات نحن.

أنا أعرف بأنكم تعرفون الإله وتحبّونه وتبنون حياتكم على ليتورجيّته في الكنيسة وفي العالم ولكنّي أكتب لكم اليوم لأذكّركم فقط بما يمكنه أن يبتلعكم في جوفه..

المادية في التفكير والحياة... الآليّة في التعاطي مع الآخرين... الركض، الركض للتحصيل ...والسعي لبناء المملكة في هذا العالم. من يشهد بالمسيح؟ من يشهد للمسيح؟

كلكم، بل كلنا نساق إلى الذبح ولا نفتح فاهنا لنصرخ "هوشعنا في الأعالي. مبارك الآتي باسم الرّب..."

يا حبيبي، أنت تُعطى وظيفة وأنت بحاجة لها. لكنها تبعدك عن ذكر ربّك والتسبيح باسمه... أو رسم إشارة صليبه على صدرك أو التعييد في يوم "الظهور الإلهي "مثلاً وترك العمل الدنيوي لتلتحق بالعمل السماوي الإلهي ...

أتغادر مدرستك أو جامعتك أو مكتبك أو معلمك لتذهب وتشترك مع الخليقة بأسرها والسماويين في التعييد والترتيل والاشتراك في جسد ودمّ السيّد والتثبيت له أيضًا وأيضًا أنه هو الخالق والرب الوحيد، منه خرجت وإليه تعود وبه تتشدّد وهو إن تبعته سيعطيك أضعاف أضعاف ما تركت وما أنت بحاجةٍ إليه؟؟...

وتجيبني الكون يسحقنا والحياة اليوميّة ومتطلباتنا تشدّنا...والجواب... "بالروح والحق ينبغي أن تسجدوا"... الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا ينفع شيئًا... لأنه يولد بالآلام ويحيا بالآلام ويرقد فيتفتّت مهترئًا في اليوم الرابع بعد دفنه .

ما العمل إذًا؟... تحويل هذا المجتمع وهذا العالم إلى مجتمع مسيحي إنجيلي... نتعاطى فيه المسيح وإنجيلنا بجرأة النبي السابق الذي ظهر مؤدِّبًا ومعلمًا ودالاً على نور الحياة الآتي ليعتمد منه في الأردن...

يا أحبّتي... صلّوا عند نهوضكم من النوم... خذوا معكم اسم يسوع زوّادةً لنهاركم... كلوه، اشربوه، أطحنوه في أحشائكم... لا تطلبوا الرئاسات في هذا العالم... أطلبوا رئاسة كلمته في إنجيله وأفعال حبّه بكلمة إنجيله... هكذا تصبحون لطفاء أرقّاء رحماء محبّين لوجهه في من حولكم... في المرذول والفقير والمتروك والمجرّب والعاصي ...

أفرزوا وقتًا للكتب الإلهية... للمعرفة، للآباء الذين سبقونا وعاشوا دروب الحبّ الإلهي قبلنا... للقدّيسين... تعلموا منهم... هؤلاء هم رؤساؤنا ومرشدونا ومعلمونا...

اقتنوا كلمة الإنجيل وعيشوها في جماعة صغيرة تتسع كلّما فرشتم أنتم كلمة المسيح وأضلعه مائدةً لكم وجسرًا تعبرون عليه أيّامكم... لا تهتمّوا لما في هذا العالم، فهيئة الموت مرسومة على كل سلعة تقتنونها... لا تكدسوا لكم أموالاً في هذا العالم فربّ السماوات بإمكانه أن يهدم الأهراء المحمّلة بلحظة... كدّسوا العفّة والحنان والرقة واللطف في قلوبكم وفي عقولكم وفي كل خلايا أجسادكم. وافرحوا بأنكم ولدتم من أبي الأنوار وأنكم سلالة جديدة شربت من دمّ السيّد فصارت بجسده ودمه آلهة حبٍ صغيرة... وانتبهوا من أشواك النّفس البشريّة... من أهوائها. إيّاكم والكبرياء فهو سمّ الموت وأناكم حاربوها... قاتلوا ما في أجسادكم من بلايا واغسلوا أوساخ هذا العمر بالدموع الرّطبة التي ذرفها ربّنا على موت لعازر صديقه قبل قيامته.

حبّتي وأنا إليكم شهودًا جددًا وتلاميذ للسيد الرب يسوع المسيح ووعد قيامة أصلّي معه، "... وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته. أنا مجّدتك على الأرض... أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم... من أجلهم أسأل... أيّها الآب القدّوس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني ليكونوا واحدًا كما نحن... أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كما أنّي لست من العالم. لست أسأل أن تأخذهممن العالم بل أن تحفظهم من الشرير. ليسوا من العالم كما أنّي لست من العالم" (يوحنّا 17).

دين أم نهجٌ إلهيٌّ

الأرشمندريت أفرام الطعمي

السماء تلبّدت بالغيوم السوداء. غابت الشمس وبدأت البروق والرعود تهزُّ الأرض. لحظات وبدأ المطر ينهمر بقوة. قد تكون ليلة ماطرة كغيرها من الليالي السابقات، صرخ إنسان ذاك الزمان جاهلاً ما يدور حوله، لكن الأمر بدأ يطول. ساعات تمضي وهاهو اليوم الأول يمضي. الأمر صار مقلقاً ومخيفاً، إنه اليوم الثاني على المطر ويبدو أن الأمر سيتحول إلى أمر جدّي وخطير، وبالفعل إنه الفيضان الذي دمّر كل أمرٍ جميلٍ محيطٌ بإنسان ذاك الزمان....

يومٌ آخر وبدأت السماء تستعيد لونها الأزرق الجميل والشمس أخذت تفتت الغيوم المدمّرة لتظهر من خلالها منذرة بعودة الحياة والهدوء والاطمئنان.

بالفعل كان المطر والفيضان الذي نتج عنه، أمرين مخيفين ومدمّرين، لكنّ الشمس قويت عليهما ومزقت الغيوم التي سبّبت هذه الأمطار فمن يا ترى الأقوى لنكسب رضاه وندرأ به الخطر؟ هكذا فكّر إنسان ذاك الزمان. ولأنه لم يكن يعلم ظواهر الطبيعة، اعتبرها قوىً إن هو تجاهلها في احترامه وتقديره غضبت عليه ودمّرت كل شيء جميل حوله، وإن هو عبدها وقدّم لها الهدايا من ذبائح حيوانية وحتى بشرية نال رضاها ودرء خطرها المدلهم عنه.

جميع الباحثين يجمعون أن التدين ظهر قبل الدين، أي أن الإنسان عبد ومن ثمّ رتب عبادته في أصول وترتيبات دينية. ماذا عبد الإنسان؟ كل ما كان يخيفه أو كل ما كان يجده جميلاً ومساهماً في خيره وازدهاره. لم يكن متمرساً في العبادة وجلّ ما عرفه أنه بتقديم الذبائح يمكنه، عبر روائحها الذكية، أن ينال رضوان تلك القوى وعفوها ورحمتها.

وجد أن المياه الناتجة عن الأمطار تخيفه فعبد إله المطر. الشمس التي أقصت المياه وبغيابها وشروقها كأنها تبعث الحياة من بعد زوال، بدت أقوى منه فكرّم إله الشمس. الرياح كانت تقلقه عبدها. النار التي اكتشفها، لإبعاد خطرها عبدها. إذاً كل ما أخافه أو ما كان لخيره عبده.

مع مرور الزمن أخذ الإنسان ينظّم أمور عبادته عبر إنشاء المعابد لتماثيل تشخّص آلهته، وتنظيم العبادات والذبائح التي تقدّم والطرائق التي بها تُقدّم والصلوات أو الكلمات التي كانت تترافق معها. كلها أخذ الإنسان ينظمها فصار الدين يتبلور عنده شيئاً فشيئاً ويزداد تنظيماً وتعقيداً وحتى نصوصاً وصلوات. وبات الدين هو الأهمُّ في حياة الإنسان. وتكرّس لإتمام هذه الأمور رجالات من ذاك المجتمع، أخذوا يلمعون شيئاً فشيئاً في دورهم الاجتماعي وفي تسييرهم وقيادتهم لشؤون المجتمع حتى باتوا على درجة من الأهمية والهيمنة حدّاً لا يُستهان به.

توالت العصور وازدادت اختبارات الإنسان مع آلهته. والرب الإله الحقيقي كان يسمح بهذا. شعوب بلاد الشام وما بين النهرين كانت لها آلهتها وحتى إنها في فترة من الفترات عبدت إلهاً واحداً متزعماً لمجمع سماوي. بلاد وادي النيل كانت لها آلهتها أو إلهها الواحد أيضاً، "أتون"، على زمن الفرعون أخناتون. بلاد الإغريق لم تقلّ شأناً في عباداتها عن باقي الحضارات فسقراط ومن بعده أفلاطون كانا يناديان بعبادة الإله الواحد وعيش حياة المُثُل.

والسؤال يبقى كيف تعاطى الإنسان

مع ظاهرة الدين وكثرة الآلهة. هل تجاهل الأمر أم عمل جاهداً ليكون جزأً من أمر غيبي؟

حاول العديدون تجاهل الأمور الإلهية ولكن تلك الأفكار والمعتقدات كانت تفرض نفسها بقوة على حياة الشعوب؛ الأبدية، الأخروية، الخلود، الحياة ما بعد الموت. كلها تساؤلات كان من المفروض أن تجيب الأديانُ الإنسانَ عنها، لكن الفشل كان مصيرها. ملحمة جلجامش في الحضارة البابلية القديمة لخّصت صراع الإنسان، قبل أكثر من خمسة آلاف عام، حول الخلود والبقاء ومحاولة التشبه بالآلهة، إلا أن الفشل كان من نصيب المحاولات واستخلصت الملحمة، أو فكر ذاك الزمان، بأن الخلود لا يكون إلا عن طريق الإنجازات العظيمة العمرانية والإنسانية وبكثرة الأولاد التي تُبقي الذكْر الطيب للإنسان إلى أجيال وأجيال. حضارة وادي النيل حَوَتْ مثل ذلك، وحضارة بلاد الإغريق أيضاً عبّرت عن هواجس كهذه، والنتيجة واحدة: إنما الخلود بالإنجازات البشرية في مجالاتها العديدة.

بالمحاولة العبرانية لفهم التعاطي الإلهي الإنساني ومقاصده صار لنا كتاب العهد القديم الذي لخّص، وبتأثر من الحضارات القديمة لبلاد الشام وما بين النهرين ووادي النيل، قصةَ الإنسان مع الله. هنا وللمرة الأولى نجد الله يتعاطى مع الإنسان. فبتجاوزنا للإصحاحات الأولى من العهد القديم، التي ما هي إلى اقتباسات من كتابات سبقتها بآلاف السنين. ووصولنا إلى الجزء الذي يتحدث عن إبراهيم نجد التمايز عن الكتابات القديمة، فالله هنا هو الذي يبدأ بالتعاطي مع إبراهيم، الذي لم يكن لا يهودياً ولا عبرانياً بل سريانياً كلداني الانتماء، هو ونسله من بعده.

يتكلّم الله إلى البشرية بإبراهيم أولاً ثم بإسحق ابنه ومن بعده بيعقوب ونسله وبالأنبياء الذين تلوهم، ليؤكد الله أمراً بأنكم إن كنتم لي شعباً أميناً أكون لكم إلهاً أبدياً، وإن غادرتموني والتجأتم إلى آلهةٍ غيري أترككم لشعب آخر يدمّر ويقتل ويشتّت فيكم. هذا كان العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم وسرى على كل نسله وكان يتجدّد دائماً بسبب التجاوزات التي كان يقع فيها الشعب باستمرار إلى أن وصل الأمر إلى حدّه النهائي والذي أنتج سبي بابل، وفي الزمن الذي تلى صعود المسيح، دمار الهيكل والتشتت النهائي للعبرانيين خارج فلسطين.

هذا هو التجديد في التعاطي الإلهي. لم يعد الله، بالنسبة للإنسان، مخاوف يعبدها أو غوامض يقلق من اكتشافها أو معرفتها. صار الله شخصاً تحدث مع البشرية كشف نفسه لأشخاص، سار مع شعبٍ، إلا أنه وبالرغم من هذا كله فهو، بحسب مفهوم العهد القديم الذي تأثر بأفكار الحضارات التي كانت منتشرة، كان يتشابه مع الآلهة الآخرين بأنه جمع في ذاته مهام الآلهة كلها فهو نفسه في الحروب إله الحرب وفي السلام إله الخصوبة والنمو، وهو إله المطر والصحو. إله النور والظلمة. هو كل شيء في الكل. خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يُرى. إله قوي، جبّار، غيور، لكن ما زال غير معلوم بالكلية صفاته. كشفُه ذاته للبشرية ساعد في معرفته، لكن بقيت ستائر كثيرة تمنع نوره الحقيقي عن الظهور لأنه لم يكن قد حان ملء الزمان بعد.

ولمّا حان ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة. مولداً تحت الناموس ليفتدي الذين هم تحت الناموس لننال التبني (غلا 4: 4-5). هذا مقطع يُقرأ في عيد الميلاد ليخبرنا عن حضور المسيح بالجسد وسط البشر. هذا الحضور الذي كان الحدث المفصل في البشرية. قبل التجسد كان التعاطي الإنساني الإلهي يبدأ بالإنسان أما بعد التجسد، الله نفسه لبس جسداً وحلّ بيننا. ورأينا مجده مجداً وحيداً من الآب. هو كشف نفسه لنا ليس بالوهم أو بالكلام وإنما بلبس جسدنا وحضوره وسطنا،،، لكن السؤال يبقى لماذا الإله واجب عليه التجسد. ما مشكلة البشرية التي لا يستطيع إلا الله أن يحلّها؟ ما هو مرض البشرية الذي وحده الله المتجسد يستطيع مداواته. إنه الموت، موت الجسد. وهذا يعيدنا

إلى تساؤل الإنسان الأول، فخوف الإنسان الأول كان من الموت ومسعاه كان دائماً الخلود. الموت للإنسان الأول كان انتفاء وجود نهاية الوجود لأنه ما من أحد عرف ماذا بعد الموت. كانت هناك أفكار لحياة ما بعد الموت تعيشها الأرواح أما الأجساد فهي إلى زوال أبدي. مع المسيح المتجسد والقائم من بين الأموات تبدّلت الأمور.

بولس الرسول على صخرة الآريوس باغوس وعظ بالحاضرين عن الرب يسوع المتجسد وكان الجميع ينصتون له، ولدى وصوله إلى حدث القيامة بالجسد الذي تمّمه الرب الإله سخر السامعون من بولس وتفرقوا وقلة بقيت تسمعه، لماذا؟ لأن فكرة قيامة الأجساد لم تكن بواردة في ذهن البشر.

قيامة الجسد التي عاينها الرسل من بعد قيامة المسيح في العليّة وثبتها توما في اليوم الثامن للقيامة إذ حضر الرب عليهم وتوما كان معهم وطلب من توما أن يضع يده في الجنب المطعون والإصبع في ثقوب المسامير لكي يزيل الشك من قلبه ويصير مؤمناً وبه تتأكد البشرية كلها بوضع اليد والإصبع من قيامة المسيح الحقانية. قيامة المسيح، الحدث الخلاصي، الذي ما كان قبله حدث ولن يصير من بعده. لماذا لأن الله تجسد مرة واحدة وتألّم مرة واحدة وصُلب مرة واحدة ومات مرة واحدة وقام مرة واحدة وإلى الأبد ليداوي سقطة آدم التي أفرزت الموت الجسدي. ووحده الله الذي بلا عيب يستطيع أن يداوي هذا المرض لأنه الكامل وحده والذي بلا خطيئة. كل من جاء قبله تنبأ به وكل من أتى بعده هم سرّاق ولصوص.

الحياة الأبدية،، إليها علّمنا الرب الإله أن نسعى، ونجدَّ لنصنع لنا مسكناً في السموات. حياة ما بعد الموت التي اشتهاها بولس الرسول دائماً إذ كان يردّد باستمرار: "لي اشتهاء أن أنطلق من هذا الجسد..." حياة أبدية بتنا عارفين ماذا فيها وكيف نحياها لأن الرب الإله قد قام بالجسد. فما بعد الموت لم يعد مجهولاً، والقيامة هي قيامة أجساد حقّة، والحياة ما بعد الموت هي فرح دائم بالحضرة الإلهية وسط الذين كان لهم النصيب الصالح، لكن كيف يكون لنا هذا النصيب الصالح.

حادثة يسوع مع مرثا ومريم أختي لعازر توضح لنا أمراً هاماً، وهو أنه وسط اهتمامات الحياة التي تكون في كثير من الأوقات قاتلة إنما الحاجة إلى واحد ألا وهو المسيح، لكن ليس الأمر أن المسيحي ليس عنده اهتمامات في الحياة، فالمسيح أكل من طعام مرتا من بعد أن أعدته ليؤكد أن ما كانت تصنعه هو أمر مبارك، لكن عند حضور المسيح ما من اهتمام يجب أن يعلو عليه. المسيحي يجتهد في الحياة ليؤمن متطلبات الحياة ولكن كثيراً ما تتحول اهتمامات الحياة إلى هموم تخرجنا عن نطاق الحياة الأبدية وننجرّ شيئاً فشيئاً إلى مسلك بعيد عن المسيح متوهمين بأن هكذا هي الحياة.

المسيح لم يترك لنا قوانين ملزمة وفرائض واجب اتباعها للحياة وإنما سلّمنا نهجاً في الحياة. فكان دائماً يقول: "تعلّموا مني فإني وديع ومتواضع القلب". المسيح خلال السنوات الثلاث التي بشّر فيها على الأرض خطّ لنا طريقاً وترك لنا الحرية في سلوكه من عدمه، حتى إنه أحب الموت موت الصليب، تواضع حتى قبوله لطمة من عبد، غفر للمخطئين إليه. بارك لاعينه، صلّى لأجل صالبيه،... هكذا انتهج المسيح وهكذا المسيحي إن أراد النصيب الصالح مع المسيح والحياة الأبدية التي ليس فيها موت، عليه أن ينهج في حياته.

المسيح لم يؤسس ديناً كسائر الأديان المعروفة على الأرض، وإنما أسس نهجَ حياة. لهذا ترفض المسيحية أن تطلق على نفسها أنها دين بين أديان عديدة على الأرض وإنما هي طريقة حياة؛ حياة ملؤها المسيح، ما من موت فيها، وإنما الثالوث القدوس المنير والمقدس نفوسنا، حياة هي الحقيقة على أرض امتلأت تشويهاً لصورة الله وإرادته، حياة من يثبت إلى المنتهى فيها،، فهذا يخلص.

كنيستي

إيماناً مستقيماً حسناً … قويماً. تلك هي كنيستي
حافظةً بعُمقِها إيماني … وخلاصي وعقيدَتي
الشهداءُ فيها ينابيعُ … تَروي بمحبَتِها ظمأ شَهادتي
والقديسونَ فيها منارةٌ … تُنيرُ دَرْبَ ظُلمَتي
مُبعدةً شرّ العدوِّ … وماحِيَةً بنورِها خطيئَتي
أُرثوذكسيّةُ الحقِّ والإيمانِ … بروحِها تُحيي مَحَبَتي
روحُ التواضُعِ والخلاصِ … ملاكاً يَحومُ حَوْلي لخِدْمَتي
فكَيفَ أترُكُ خلاصاً … قلبي لها بيتٌ. تلك هي كنيستي

* * *

فادي وديع عدره
حزيران 2006